الحفاظ العمراني بالدول الغربية مقارنة بالدول العربية: تميّزوتفوّق... أم خضوع واستسلام!
دراسة حالة: قصرورقلة العتيق

الدراجي قادري[1]*، الصالح لعريبي[2]

[1] أستاذ محاضر قسم ب جامعة محمد بوضياف بالمسيلة E-mail derradji.kadri@univ-msila.dz
[2] أستاذ مساعد قسم أ جامعة محمد بوضياف بالمسيلة E-mail salah.laribi@univ-msila.dz

ملخص:

يهدف هذه الورقة للتنويه بأهمية التجارب الغربية الرائدة في مجال الحفاظ على التراث وكيف أنارت الدرب للباحثين في عملية الحفاظ. إلا أن الاعتماد على هذه التجارب ببلادنا العربية دون مناقشتها وتكييفها مع الخصائص المحلية قد يكون غير مقبولا تماما لما قد يترتب عليه من تجاوزات وأخطاء يصعب اكتشافها في حينها. فكانت التجارب العربية عموما والمحلية خصوصا فرصة لتبادل التجارب فيما بينها. ويعد قصر ورقلة العتيق من أهم القصور الصحراوية المأهولة بالجنوب الجزائري تم تصنيفه عام 2011 كقطاع محفوظ، ورغم عمليات الحفاظ التي انطلقت بعد تصنيفه لا يزال القصر العتيق يشهد تعديا كبيرا مسّ العديد من مكوناته العمرانية والمعمارية كالطرق والمباني والساحات أثرت على توازن نظامه وقللت من أهميته، وبالتالي فإنه يحتاج إلى بعض التجارب الغربية والعربية والمحلية التي من شانها أن تسرّع من عملية الحفاظ والتقليل ما أمكن من الأخطاء. يوصي البحث بوضع بعض الاعتبارات لنقل مثل هذه التجارب كأن يكون النقل متبصرا قبل تطبيقه في قصر ورقلة العتيق.

كلمات مفتاحية:

تجارب غربية؛ تجارب عربية؛ حفاظ عمراني؛ قصر عتيق؛ ورقلة.

* المؤلف المرسل.

Abstract :

This paper aims to highlight the importance of the pioneering Western experiences in the field of heritage preservation and how they have illuminated the path for researchers in the preservation process. However, relying on these experiences in our Arab countries without discussing them and adapting them to local characteristics may be completely unacceptable as it may result in violations and errors that are difficult to discover at the time. The Arab experiences in general and the local ones in particular were an opportunity to exchange experiences among themselves. The ancient palace of Ouargla is considered one of the most important inhabited desert palaces in southern Algeria. It was classified in 2011 as a preserved sector, and despite the preservation operations that began after its classification; the ancient palace is still witnessing a major encroachment that affected many of its urban and architectural components, such as roads, buildings, and squares. It affected the balance of its system and reduced its importance, and thus It requires some Western, Arab and local experiences that will speed up the preservation process and reduce errors as much as possible. The research recommends making some considerations for transferring such experiences, such as making the transfer informed before applying it in the ancient palace of Ouargla.

Keywords: Western Experiences, Arab Experiences, Urban Conservation, Qasr al-Ateek, Ouargla.

1-مقدمة

تسبّبت الحرب العالمية الثانية في التدمير الكلي للمدن والقرى في العديد من دول العالم واستمر الحال في خمسينيات وستينيات القرن الماضي بأوروبا مع عمليات إعادة البناء للأحياء والمباني التي قلما احترمت فيه طابعها العمراني والمعماري، غير أنها غيرت نظرة الكثيرين حول المدن التاريخية والتراثية و العتيقة بعدما لحقها من استياء كبير من نهج "الجرافة "لعمليات التجديد الحضري ، ودمرت معها الروابط الاجتماعية، وجعلتهم يبحثون عن مقاربات جديدة وتدخلات أكثر ليونة لوقف استنزاف والعبث بالمباني التقليدية والأحياء العتيقة ، فكانت إعادة التأهيل الحضري ثم الحفاظ الحضري.

2-الاشكالية :

منذ ظهور الحفاظ العمراني في النصف الثاني من القرن التاسع ، بدأت مدن الدول الغربية تهتم بمدنها التاريخية ومبانيها التقليدية ، وتتسابق فيما بينها من أجل إنقاذ ما بقي من تراثها العمراني والمعماري الذي تسببت فيه الحرب العالمية الثانية والتجديد الحضري ، بحيث يتم الهدم البناء للأحياء والمباني ثم يعاد بنائها بطريقة عصرية تستجيب للاحتياجات العصرية ولا تراعي الخصائص العمرانية والمعمارية ، وفيما يتم القضاء على الروابط الاجتماعية من خلال ترحيل السكان الأصليين (الفقراء) إلى مناطق متفرقة جديدة بحجة أنهم لا يمكنهم تحمل تكاليف شراء المسكن أو تأجيره. كانت الاحتجاجات تتزايد والوعي بأهمية التراث يتزايد أيضا، فاضطرت السلطات إلى البحث عن بدائل أخرى للتدخل على هذه الأنسجة فكان إعادة التأهيل الحضري وبعدها الحفاظ الحضري. أما معظم الدول العربية فلم تستفد من أخطاء الغرب، فما إن حصلت على استقلالها حتى كررت نفس الأخطاء نظيرتها الغربية. وأدركت فيما بعد قيمة المباني التقليدية والأحياء التاريخية وضرورة المحافظة عليه كونه رصيد الماضي فيجب التعامل معه بحرص حتى لا يفقد خصائصه وقيمته. وقصر ورقلة العتيق بصحراء الجزائر رغم أنه لا يزال مأهولا، إلا أنه فقد الكثير من مبانيه، ورحل عنه بعض سكانه، وتعرض للكثير من مظاهر الاعتداء سواء العشوائية منها والرسمية، وهو يبحث اليوم عن مناهج وطرق صحيحة وفعالة للحفاظ عليه، فإلى أي مدى يمكن لقصر ورقلة العتيق الاستفادة من التجارب الغربية والعربية الرائدة في الحفاظ العمراني؟

3-الهدف من الورقة العلمية:

هو إضافة لبنة جديدة تحاول أن تستفيد من التجارب الغربية الرائدة في الحفاظ التي أبهرت العرب، ومحاولة تقييمها لمعرفة مدى تميزها أم أنها مجرد تضخيم ودعاية، وأيضا اختيار عينة دراسة عربية (تجربة قرية القرنة) ومقارنتها بنظيرتها الغربية، لنستفيد من نتائج الدراسة في قصر ورقلة، وهذا بعد تنقيح وتكييف مع الأوضاع والخصائص المحلية.

4-أهمية الدراسة ومبرراتها:

موضوع الحفاظ العمراني خاصة بالمناطق الصحراوية يستحق بلا شك أن يكون موضوع بحث، كونه يقودنا إلى معرفة خبايا وآليات التعامل مع الموروث العمراني المادي الذي

يتراجع كما وكيفا ببلادنا بينما بالدول الغربية يستعيد مجده ودوره في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وبالتالي نصحح أخطاءنا ومسارنا ونوجهه نحو خصوصيتنا.

5-تحديد المفاهيم الأساسية للمداخلة: سنكتفي بتحديد مفهوم الحفاظ العمراني

5-1الحفاظ العمراني: تتعدد التعريفات والمفاهيم للتجديد الحضري، يعد الحفاظ على التراث الثقافي مهمة طويلة الأجل تتطلب معرفة خاصة وضميرًا مهنيًا كبيرًا.... لإدارة مثل هذه العملية المعقدة . (Berard & Feilden, 1996, p. 3)

.والحفاظ المعماري هو علم الحفاظ على مواد البناء، التصميم المعماري، والجو التراثي الموجود في المباني التاريخية، من خلال وضع معايير دقيقة وحذرة لمقدار التدخلات التي ستمارس على تلك المباني. (شتيح، 2011، الصفحات 23-24) ويشمل الحفاظ مجموعة العمليات الآتية :الإصلاح والترميم، الحماية، إعادة التأهيل، إعادة التوظيف، والتجديد الشامل. ويعتقد بعض الباحثين أن الحفاظ ما هو إلا عمليتان تسيران على التوازي: الأولى تهدف إلى الحفاظ على ما هو كل ذو قيمة في تشكيل الطابع المادي والمعنوي للنطاق التراثي، والثانية بهدف التحكم في التغيرات المصاحبة لعمليات التطور التي يخضع لها النطاق التراثي وتؤثر بالضرورة عليه (محمد ف.، 2006، صفحة 3).

6-تحليل ومناقشة:

6-1ماذا يتطلب الحفاظ؟

مما سبق فإنه يجب على العاملين في مجال التخطيط الحضري أن يكون لهم دراية كافية للتغلب على جميع المشكلات التي تثار وتظهر أثناء تنفيذ سياسة الحفاظ ميدانيا مع أنواع مختلفة من الأبنية والتي تعكس في الكثير من الأحيان هوية وشخصية المدينة بل تتعدى إلى معرفة امور أخرى أهمها فيما يلي: مراعاة القيم الفنية المعمارية وكذا العمق التاريخي والنواحي الاجتماعية الثقافية.

6-2إدارة الحفاظ العمراني:

تواجه إدارة التراث المبني بالضرورة ثلاثة (03) سياقات مؤسسية وتنظيمية ومالية. وفقا لأحكام المادة 5 من اتفاقية التراث العالمي لليونسكو: " من أجل ضمان أكبر قدر ممكن من الحماية الفعالة، يجب على الدول الأطراف في الاتفاقية اتخاذ التدابير القانونية والإدارية والمالية المناسبة لحماية وإحياء تراثها " . وتعتبر كسياقات مرجعية للدول في إدارة تراثها المبني.

6-2-1السياق المؤسسي: نظرًا لتنوع الجهات الفاعلة المطلوبة، في عمليات إدارة التراث المبني، يجب أن يربط التنسيق الوثيق جدًا بين المؤسسات فيما يتعلق بمنطق تدخلاتها المختلفة.

في الجزائر، يتم تنظيم النظام الإداري حسب القطاع (الثقافة، تخطيط المدن، السياحة، إلخ). هذه القطاعات لا تعمل في اتصال عميق للغاية.

6-2-2السياق التنظيمي: يجب التعبير عن الإرادة السياسية بوضوح من خلال الأنظمة. يجب أن تمتثل أي عملية لإدارة الأصول للأحكام التنظيمية المعمول بها (قانون 29-90 المؤرخ في 01-12-1990 : والمتعلق بالتهيئة والتعمير المعدل والمتمم ، قانون 98-04 المؤرخ في 15 جوان 1998 والمتعلق بحماية التراث الثقافي، والمرسوم التنفيذي رقم 01-104 والذي يتضمن تشكيل اللجنة الوطنية و الولائية للممتلكات الثقافية وتثمينها، و المرسوم التنفيذي رقم 03-322 مؤرخ في 5 أكتوبر2003 بشأن إدارة المشروع ذات الصلة بالممتلكات الثقافية غير المنقولة المحمية ، والمرسوم التنفيذي رقم 03-323 الصادر في 5 أكتوبر 2003 الذي يحدد كيفيات وضع خطة لحماية وتعزيز المواقع الأثرية ومنطقة حمايتها.**(PPMVSA)** ، و المرسوم التنفيذي رقم 03-324 تاريخ 5 أكتوبر 2003 بشأن إجراءات التأسيس الخطة الدائمة لحماية وتعزيز القطاعات المحمية.**(PPSMVSS)** ، المرسوم التنفيذي 12-17 المؤرخ في 09-01-2012 المعدل والمتمم للمرسوم التنفيذي 06-239 المؤرخ في 4 يوليو 2006 المحدد لكيفيات تسيير حساب التخصيص الخاص 123-302 الذي عنوانه الصندوق الوطني للتراث الثقافي ، الجريدة الرسمية ، العدد 07، مرسوم 88-09 مؤرخ في 26-01-1988 المتضمن إنشاء مؤسسة ترميم التراث الثقافي ، الجريدة الرسمية، العدد 04، مرسوم 83-684 مؤرخ في 26-11-1983 محدد لشروط التدخل في المساحة الحضرية الموجودة ، الجريدة الرسمية ، العدد 49.)

ومع ذلك، فإن حكومات البلدان النامية التي لا تملك المهارات اللازمة لتولي مسؤولية التراث المبني، يجب عليها، من أجل سد الثغرات، أن تستعين بالمنظمات الدولية كمنظمة حماية التراث العالمي التي تنص على ما يلي: " مع الاحترام الكامل لسيادة الدول التي يقع التراث على أراضيها ودون المساس بالحقوق الحقيقية التي تنص عليها التشريعات الوطنية بشأن التراث المذكور، من أجل حمايته، ومن واجب المجتمع الدولي أن يتعاون " (Fatima, 2015, p. 36) التي يمكنها أن تقدم لها المعرفة.

6-2-3السياق المالي: من الضروري وجود موارد مالية دائمة في الميزانية "ولعل من أهم العوامل التي تسهم في فقدان الأماكن التراثية على المستوى العالمي انخفاض ميزانيات تمويل الأماكن والمباني التراثية، وعدم القدرة على توفير الأموال الكافية للقيام بأعمال الحفظ والصيانة والترميم." (محمد س.، 2006، صفحة 03) لخلق ديناميكية رعاية التراث العمراني والمعماري. (عبد الغاني، 2013، صفحة 94) . في البلدان المتقدمة، تقوم الدولة بتكييف تمويل عمليات العناية بالتراث الحضري والمعماري، وخاصة السكن بشكل عام، مع مختلف الطبقات الاجتماعية.

6-3الحفاظ العمراني بالدول الغربية: من أجل التعرف على الحفاظ العمراني بالدول الغربية بما فيها أمريكا وغيرها من الدول الغربية المتقدمة ومدى نجاحه، وقع اختيارنا على التجربة الفرنسية.

6-3-1التجربة الفرنسية في الحفاظ على المدن التاريخية والمباني التقليدية (عبود الموسوي هاشم؛ علي سنان ابو القاسم؛ صلاح يعقوب؛ الجبر حيدر، 2006، الصفحات 4-6) **فبالإضافة** إلى أعمال هوسمان على مدينة باريس في القرن التاسع عشر من خلال فتح شوارع عريضة ومستقيمة محاطة في جانبيها بعدد من الأبنية النمطية ودون اعتبارات للنواحي الاجتماعية والوظيفية. جاء لوكوربوزييه ليضع طروحات صارمة، في مدينته المثالية والتي أسماها (مدينة السعادة)، فالنظام الصارم وتوزيع النشاطات الحياتية والفعاليات الاجتماعية بهذه الحدة قاد إلى أن افتقدت هذه المدينة الشعور بالواقعية.

ونظرا لتوفر بفرنسا مجموعة من القوانين التي تحمي المناطق التاريخية والمباني بشكل مبكر، فضلا الوعي والاهتمام المتزايد بالتراث العمراني من قبل السكان ووجود الإرادة من السلطات المعنية، والحالة الفيزيائية المتردية لمعظم المباني التقليدية والأحياء التراثية، كانت طبيعة الحلول النظرية متوازنة تراعي القيم التراثية في الحفاظ والتطوير وتتفق مع متطلبات السكان العصرية. غير أن الواقع أثبت العكس وفشلت معظم التجارب لارتكازها على النظرة الاقتصادية الصرفة نظراً لتكاليفها الباهظة، وعوائدها المالية المحدودة وبالتالي أوقف العمل بها. ومع تدخّل القطاع الخاص زاد الحقد على المباني التراثية ولموقعها المميز فقد أزيل عدد كبير من المباني وتم بناء ابراج عالية وحديثة مكانها وبالتالي تفكك النسيج العمراني التاريخي للمنطقة.

وفي فترة الستينيات من القرن الماضي كانت التوجهات السياحية التي تدعوا إلى الإحياء الشامل للمناطق التاريخية بالمدن الفرنسية وخاصة المهمة منها، ولأنها أغفلت الإنسان واهتمت بالمكان فقد تحولت المدن لمتاحف بدلا من مدن للعيش والسكن، وفي نهاية السبعينات من القرن الماضي تم اصدار قانون جديد يهتم بترميم وصيانة وتحسين المناطق التاريخية المهمة مع خطط مدروسة لإعادة إحيائها مع الاحتفاظ بكيانها الحضري والعمراني والاجتماعي ونشاطاتها وتركيبها السكاني وملامحها التاريخية.

استفادت الجهات المختصة من أخطائها السابقة عند تدخلها عن الأنسجة الحضرية القديمة، فقامت بمسح وتسجيل كل المباني ذات القيمة المعمارية التاريخية وذات الأولوية بالاهتمام ثم توثيق الأنشطة السابقة غير المتوافقة مع اقتراح النشاط الحضري الملائم لها بعد التجديد والإدامة، وفي حالات استثنائية توصي اللجنة المختصة بهدم المبنى بالكامل لتهرئه أو قدمه أو عدم ملائمته للوضع القائم. ولما أدركت أنها تتجه في الاتجاه الصحيح (من محاولات التجديد إلى محاولات الحفاظ) انتقلت إلى التحسين الحضري للسكنات الجماعية لتكتمل صورة المدينة.

الصورتان رقم (01)(02): تبينان الاعتداء على مدينة باريس ، بشق طريق سريع داخل المدينة القديمة بباريس، وإدخال الطابع المعماري العصري على مباني قديمة.

المصدر: (عبود، علي، و صلاح يعقوب، 2006، الصفحات 4- 6)

2-3-6 الحفاظ العمراني بالدول العربية:

خلال العقود الماضية، أطلقت العديد من الهيئات الدولية، مثل اليونسكو**UNISCO**، والمركز الدولي لدراسة الحفاظ على الممتلكات الثقافية وترميمها**ICCROM**، واللجنة الدولية للآثار والمواقع**ICOMOS** ، وجمعيات التراث المحلي أو الوطني، حملات ومقترحات مهمة للحفاظ على المجمعات التراثية والآثار المهملة (Florina, 1996, p. 465). وعلى الرغم من الاندفاع الكبير كانت النتائج على الأرض محدودة جدا. ويرجع السبب لعدم انخراط معظم الهيئات والأجهزة الثقافية والأثرية بالدول النامية في هذا المسعى. وعدم رغبة البنوك في خطط الحفظ كونها غير مجدية ماليًا. واقتصاديا. لذا لم ينجح سوى عدد قليل جدًا من مدن العالم النامي في تهيئة الظروف الملائمة من أجل جذب القطاع الخاص للمشاركة في الحفاظ على التراث العمراني عبر استراتيجية مبتكرة وفعالة لتسويق "التراث.

وبالدول العربية لا يمكن إنكار الإنجازات التي تحققت في حقل حماية التراث الثقافي المادي، وخاصة التي تعيش "حياة مستقرة ، إلا أن بعض النقائص جعلتنا ننسى الإنجازات ونبقى شاردي الذهن من كثرة المشاكل والمعيقات التي تتعلق بإدارة والحفاظ على التراث العمراني والتي ذكرها الدكتور نظمي الجعبة : "أن بعض قوانين الحماية مازالت تعود إلى فترة الاستعمار، أو تستند إليها، وأن إدراج حماية المدن والقرى التاريخية تحت مكون التراث قد جاء متأخراً عن قانون الآثار، ورغم إنشاء المنظمات المختلفة والهيئات الوطنية والمحلية في الكثير من الأقطار، إلا أن غالبية المراكز التاريخية تعاني الأمرين من الإهمال والهجران الكلي أو الجزئي، وهي مجرد تدخلات نقطية ، فإن جرت العناية بالمباني فغالباً لا يرافق ذلك عناية مناسبة للسكان القاطنين فيها (غالبيتهم فقراء) وسرعان ما يعود المبنى إلى سابق عهده. لذلك لم تنجح أية دولة عربية حتى الآن في تقديم نموذج يُحتذى يه في كيفية حماية المدن والقرى التاريخية بشكل جدّي. (نظمي، 2018، الصفحات 34-36) .

تجربة القرنة لحسن فتحي : وقع اختيارنا على قرية القرنة لحسن فتحي ، والتي نعتقد أنها قريبة جدا من حالتنا الدراسية (قصر ورقلة العتيق). وهي تجربة فريدة، لم يكتمل بناءها حتى جرفتها سيول السد، وعلى الرغم من شهرتها وأهميتها، هناك من الباحثين من يراها تجربة فاشلة منذ البداية. وان سبب فشلها يعود الى عدم انتقال السكان للعيش فيها كون

أنها استخدم في بنائها القباب والقبوات ذات الدلالات الرمزية للموت وأهل المقابر. (ابراهيم، بدون سنة، صفحة 61).

التجربة بدأت مع سكان قرية القرنة (مهربي الآثار)، لما أرادت الحكومة أن تتعامل مع الأحياء العشوائية بالمناطق الريفية لسكان امتهنوا سرقة القطع الأثرية، لذا لابد من معالجة المشكلة بإبعادهم وترحيلهم عن هذه المناطق، ولكن كيف؟ فكانت المشاكل والعقبات التي كان يواجهها حسن فتحي جعل منها محطات يراجع فيها أفكاره† وطرائقه التي بدأ بها، وسرعان ما يجد الحل من خلال المشاركة مع الآخر لاسيما مع أهل الصنائع وأهل الخبرة من البنائين وحتى السكان‡ ، وبالمقابل هم آمنوا بفكرته البسيطة فدافعوا عنها بمنجزاتهم البسيطة التي وصلت العالمية، وصارت تجربته§ رائدة تدرس في مناطق من العالم ويشار إليها مع غيرها من التجارب العالمية الرائدة.

وقد انتهى حسن فتحي - أبرز الرواد القدامى والمعاصرين للعمارة الشعبية فى مصر - إلى تلخيص مبادئ هذه العمارة في الآتي: احترام إنسانية الإنسان، وتأكيد خصوصيته ، تعويده على إبداء الرأي والاشتراك في اتخاذ القرار، تحقيق تطلعاته واستيفاء حاجاته لخلق مجتمع يتسم بالكفاية والعدل ، خلق عمارة بيئية متكاملة ذات طابع وشخصية لكل إقليم من أقاليم مصر المناخية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، محاربة مبدأ تعميم النموذج النمطي المتكرر على مستوى القرية ، أو المدينة أو الإقليم ، أو الجمهورية، إحياء الأشكال

† قرّر أن يبدأ بتحسين أوضاع الفلاحين بمزرعته أولا التي كانت لا تختلف عن مزارع الفلاحين البائسة وأصلح استراحته وحولها لمنزل صغير مسكون في اغلب الأوقات (**الرغبة**)، ثم انكب من أجل تطّوير العمل الفني فأنتج العديد من التصميمات الريفية من طوب اللبن مع معرض للشرح والترويج، وقد بدأت فرص الإشراف على البناء الريفي تزداد تدريجيا بعدما القى محاضرة عن تصوره للبيت الريفي. (**الدراية بالجانب التقني او الفني**). ولما بدأت الحرب العالمية الثانية توقف إمداد مواد البناء العصرية (الحديد والخشب والصلب) وتوقف البناء، جاءت فرصته الذهبية ليعيد مجد أجداده وهو البناء بالمواد المحلية (الطوب اللبن)، لكن البناؤون لم يتمكنوا من تسقيف الأقبية دون شدّات خشبية، فدلّه أخوه على البنائين النوبيين يستطيعون ذلك، فسافر إليها ليجلب العمال من أجل تسقيف أقبية المباني، فأعجب بتنظيم القرية وطريقة بنائها. ونفس الشعور لمّا شاهد قرية الأقصر وتونة الجبل. فوظف البناؤون من أسوان لتسقيف المباني المقببة وتعجب من تفانيهم وسرعتهم (**الإبداع**) . (حسن، 1989، الصفحات 11-13).

‡ التف معظم سكان القرنة حول حسن فتحي وفكرته ودافعوا عنها حتى آخر لحظة (التقبّل والمشاركة) ، كونها أعادت لهم تقاليد العمل الجماعي ومساعدة الآخر والأهم من ذلك هو السعي نحو الرزق الحلال. (التحدي والالتزام)

§اطلقت تسمية (عمارة حسن فتحي) على كل تجربة تحاول استلهام التراث العمراني واحياء اشكال شعبية من العمارة المحلية وباستخدام مواد من نفس البيئة. (اورانس، 2010، صفحة 16) .

المعمارية المحلية والفنون الشعبية والصناعات الحرفية والتقليدية. (محمود،، 2002، صفحة 63)

إنها تجربة تحيي التراث العمراني العربي وتحيي معها عادات التضامن والمشاركة الشعبية وروح التعاون التي تجمع بين سكان المدن القديمة. كما أنها تغرس في نفوس الأفراد الاعتماد على النفس والعمل الحلال بعيد عن سرقة الآثار.

7-النتائج: مقارنة إدارة الحفاظ العمراني بين الدول الغربية والعربية:

مع بداية النصف الأول من القرن التاسع عشر ظهرت اهتمامات جديدة أكدت على استمرار واستخدام سياسة المحافظة إلا أن جدية الممارسة اختلفت من دولة إلى أخرى فمنها من بلغت درجة كبيرة وعالية في تطبيق هذه السياسة في حين لم تصل بعضها الأخرى إلى أي اهتمام يذكر في هذا المجال. (انور عبد الرزاق، 2013، صفحة 198).

فقد قامت فرنسا باستحداث الوكالة الوطنية للتجديد الحضري (**ANRU**)** كمحرك أساسي لتمويل†† سياسة المدينة. .وقد نجحت الوكالة في الجمع بين أصحاب المصلحة المنقسمين حتى الآن -رؤساء البلديات والمحافظين وأصحاب العقارات وفرق المشروع والجمعيات والمقيمين -لتحقيق مشروع مشترك (comité d'évaluation et de suivi de l'agence national du rénovation urbain, 2006, p. 23))

**ودورها هو حشد الأدوات المالية والقانونية الجديدة لتحسن البيئة الحضرية في الأحياء الموبوءة (الشباك الوحيد) والذي يضمن التمويل الوطني ومتعدد السنوات للبرامج المحلية الخاصة بالتجديد الحضري.

††والذي يرتكز على ثلاثة مبادئ : المبدأ الأول، عولمة التمويل الحكومي يتكون تمويل الدولة في المناطق الحضرية الحساسة من تجميع ائتمانات **GPV- ORU** الحكومية وتمويل الإسكان الحكومي الذي تم فصله سابقا، يترجم إلى التزام متعدد السنوات على مدى 5 سنوات في إطار سقف سنوي يحدده القانون، المبدأ الثاني ، حشد 1% والذي يختلف عن عولمة القروض الحكومية ، وهو يمثل تمويلا إضافيا ، يجعل من الممكن تمويل العجز في مشاريع التنمية في إطار مفاوضات، المبدأ الثالث ، مبدأ الشباك الوحيد هو جزء من منطق التبسيط المالي والإداري. إنها تجمع تمويل الدولة (المعولم) وحشد 1%. هناك موقع واحد لتخصيص هذا التمويل . يضاف إليه المساهمة الإضافية من الاتحاد الاجتماعي من أجل السكن(**USH**) والتمويل من صندوق الإيداع والشحنات. (Institut Regional de la Ville, 2003, p. 10)

الجدول رقم 01: : مقارنة بين التجربة الفرنسية وتجربة حسن فتحي.

	نوع المشروع والهدف منه	الفاعل الأساسي	إدارة التراث	فكرة المشروع
التجربة الفرنسية	سياسي واقتصادي يهدف الى محاولة تحقيق الأمن وتجميل المدينة	الدولة أو ما يمثلها	اعتماد على السياقات الثلاثة وبأربحية	تحسين الأداء واستغلال التراث في الاقتصاد
تجربة حسن فتحي	اجتماعي يهدف الى محاولة مساعدة الفقراء بالسكن والعمل	مهندس معماري طموح	غياب شبه تام للسياقات الثلاثة	إحياء التراث والحفاظ عليه

المصدر: من إعداد الباحثان 2023.

و[في الجزائر] منذ صدور النص الأساسي عام 1967 وحتى عام 2008، وعلى مدى أكثر من 40 عاماً، ظلت جهود الدولة غير كافية على المستوى المؤسسي. على الرغم من أن إدارة التراث المبني تتطلب أدوات تدخل على المستويات المؤسسية والتنظيمية والمالية، إلا أن الخطة التنظيمية تظل السياق الأكثر عبئًا في حماية التراث المبني. (Fatima, 2015, p. 37)

1-7و اقع الحفاظ العمراني بقصرورقلة العتيق:

يقع قصر ورقلة في الجهة الشمالية لمدينة ورقلة، تقدر مساحته ب 30هكتار، ويقطنه عدد أكثر من 8000ساكن، بكثافة سكانية تقدر ب67.28سكن/ هكتار. يتكون من ثلاثة احياء وهي: بني إبراهيم، وبني وقين وبني وسين، كما يحتوي القصر على عدد من التجهيزات أهمها: المساجد، الزوايا، المدارس القرآنية، الأسواق، مكاتب، دور حضانة، مقر للصندوق للتوفير والاحتياط، مقر الهلال الأحمر الجزائري، مركز طبي اجتماعي، معهد التكوين المهني ومحلات تجارية. (اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية ، 2008).

صورة رقم (03) توضح قصر ورقلة العتيق

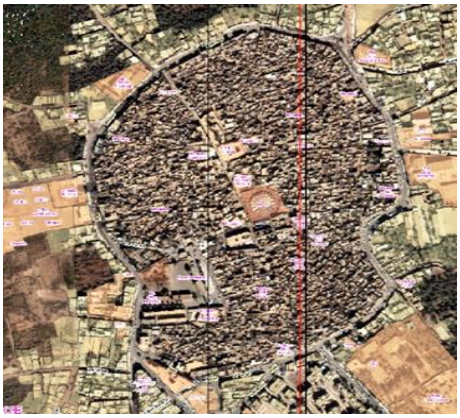

المصدر: (مديرية التعمير والبناء لولاية ورقلة، 2013)

يعتبر قصر ورقلة من القصور المهمة في الصحراء الجزائرية تعود نشأته إلى العهد النوميدي في الفترة ما بين القرن السابع والعاشر قبل الميلاد (7و 10ق م) حسب بعض المؤرخين ، ويرجعه آخرون إلى القرون الوسطى الإسلامية.

يقوم السكان بمبادرات شخصية وأخرى بإشراف من الجهات المختصة من أجل صيانة وترميم مساكنهم المتدهورة أو تجديدها، فمنهم من حافظ على الطراز المعماري ومنهم من قام بالتهديم وإعادة البناء، ومنهم من غيّر الواجهة بما لا يتوافق والنسق المعماري والنسيج العمراني العتيق وذلك التدخل يكون حسب الحالة المادية لرب الأسرة.

صورة رقم (04) تدخلات عشوائية (الهدم وإعادة البناء بحي بني إبراهيم)

المصدر: صورة مأخوذة سنة 2022.

صورة رقم (05) إضافة طابق لمسكن يطل على الساحة بحي بني سيسين

المصدر: صورة مأخوذة سنة 2022.

أما المصالح البلدية والولائية فقد سجلت عدة تدخلات منها تجديد شبكة الصرف الصحي والمياه المستعملة والإمداد بالمياه الصالحة للشرب جزئيا ودعم القصر بالإنارة العمومية سنة 1993، كما تم هدم الكنسية القديمة وجزء مركزي من القصر والمتمثل في السوق القديم وما جاوره سنة 1991، رغم هذا فإن القصر لا يزال محافظا على خصوصياته وطابعه التاريخي والعمراني العتيق بمساكنه ومساجده وزواياه ودروبه وساحاته التي ساهمت في لم شمل الجماعة.

2-7الآفاق المستقبلية للحفاظ بقصر ورقلة العتيق.

من خلال الاسترسال في تتبع تاريخ الحفاظ بالعالم وحالتها الواقعية بالجزائر عموما وقصر ورقلة خصوصا تبين أن الحفاظ على قصر ورقلة العتيق ما هي إلا تدمير مقنن أو عشوائي للمباني والأنظمة الاجتماعية ، حيث غاب الالتزام وغابت معه الالية من السلطات المحلية التي لم تستطع إيقاف تدمير الموروث الثقافي ، حيث بقيت تتردد بين الإقدام على حمايته وحفظه من دون سياسة واستراتيجية واضحة المعالم ، وبين التودد للسلطات العليا على الإسراع في الدعم المادي والمعنوي من جهة وترجي السكان على عدم التفريط في هذا الإرث العمراني المأهول والتعاون الإيجابي والمشاركة الفعالة في رسم مستقبله وعدم الهروب أو اللجوء للتدخلات العشوائية التي تزيد من تدني مستوى البيئة المادية والمعنوية وأن لا تعطي الفرصة للانتهازيين الذي يتظاهرون من حماة التراث لكن همّهم الأكبر الفوائد المالية

ولا يلتفتون إلى العوائد المعنوية كالخصائص العمرانية والقيم الاجتماعية والرمزية والتاريخية وغيرها.

إذا استمر هذا الاتجاه المتردد للحفاظ على قصر ورقلة العتيق بهذه الطريقة، فسنخشى على مستقبله، إما باستمرار التهدم الطبيعي وبفعل هدم الإنسان للمباني ذات الحالة الفيزيائية الرديئة والمتوسطة أو بالتجديد العشوائي أو القانوني للمباني والتي لا تخضع بعضها أو مجتمعة لدفاتر الشروط أولا تحترم الخصائص الطبيعية والعمرانية والمعمارية والاجتماعية والثقافية والجمالية للمنطقة وسكانها. "لذا هناك حاجة ملحة لنهج إعادة التأهيل التي تحافظ - أو تحافظ بشكل أفضل - على الصفات النموذجية والأساسية لمناطق المدينة التاريخية ، ولحياة المجتمعات المقيمة ، ولكن يمكنها أيضًا تكييف هذه الهياكل المادية والأنشطة الاقتصادية في وفقا لاحتياجات الحاضر." (Florina, 1996, p. 472)

8-الخاتمة:

وهذا العمل المتكامل يكفي بأن يسمح المجال للقصور الصحراوية بالجزائر بتحقيق عملية الحفاظ العمراني المتوازنة. وأن غياب أحد هذه العناصر من شانه أن يصعب عملية الحفاظ ويحدث خللا في توازن النظام العمراني المتوازن لقصر ورقلة العتيق

ومنه تم استنتاج ما يلي: تتأثر عمليات المحافظة على الأبنية التراثية بمجموعة من العوامل ولعل أبرزها

- ✓ قوانين مشجعة.
- ✓ وموارد مالية دائمة وكافية.
- ✓ وهيئات ومؤسسات لها من الدراية والرغبة والإصرار تسهر على دراسة ومراقبة وإنجاز وتصحيح وتقييم الأخطاء.
- ✓ وكذا التعاون والاستفادة من التجارب الناجحة المفيدة والملائمة وفوق هذا كله
- ✓ دعاية وتوعية...

9-التوصيات والاقتراحات:

وعليه نقترح:

- ✓ النقل الواعي والمدروس للتجارب الغربية والعربية التي تستهدف الحفاظ والسكان معا دون فصل أحدهما عن الآخر.
- ✓ انتخاب المناطق الخاضعة لعملية الحفاظ العمراني بقصر ورقلة وذات أولوية التنفيذ بطريقة شفافة وواضحة وعادلة.
- ✓ مساعدة الفئات المحرومة من السكان القاطنين في القصر وإعطائهم أولوية الاستفادة من برامج الترميم والتجديد الحضري لمساكنهم إذا ثبت شدة تدهورها.

10-قائمة المراجع

المراجع العربية

ابراهيم ,ع .ا) .بدون سنة .(*المعماريون العرب :حسن فتحي* .القاهرة، جمهورية مصر العربية.

اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية .(2008) .الجزائر.

انور عبد الرزاق ,ي .ا .(2013) .*تداخل وتكامل العمران والعمارة الصحراوية مع البيئة في التجمعات السكانية بجنوب ليبيا (1911-1551)دراسة تحليلية مقارنة للعمارة المحلية التقليدية دكتوراه في الهندسة المعمارية* .قرطاج، تونس :المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية.

اورانس ,ع .ا .(2010) .توظيف موارد البيئة المحلية في انشاء الوحدات المكونة للنسيج الحضري ضمن اطار الحفاظ على التراث العمراني)تجربة حسن فتحي نموذجا .(*المخطط والتنمية*.16 ,(22)*15* ,

حسن ,ف .(1989) .*عمارة الفقراء تجربة في ريف مصر* .القاهرة، جمهورية مصر العربية : الجامعة الامريكية بالقاهرة.

شتيح ,ع .ا .(2011) .*اعادة توظيف المعالم التاريخية)بناء الامس وظيفة اليوم(حالة دراسية حصن بوسكارين الاغواط، الجزائر -ماجستير في حفظ التراث المعماري، قسم الهندسة المعمارية والعمران، كلية علوم الارض والجغرافيا وتهيئة الاقليم جامعة منتوري* .قسنطينة :جامعة منتوري قسنطينة.

عبد الغاني ,ح .(2013) .*الحماية القانونية للبيئة في اطار التنمية المستدامة، دكتوراه علوم في الحقوق تخصص قانون اعمال، قسم الحقوق كلية الحقوق والعلوم السياسية* .بسكرة :جامعة محمد خيضر.

عبود الموسوي هاشم؛ علي سنان ابو القاسم؛ صلاح يعقوب؛ الجبر حيدر .(2006) . التعامل مع المناطق التاريخية في ثلاث تجارب عالمية .*المؤتمر والمعرض الدولي الثاني في الحفاظ العمراني* .(pp. 4-6) ,دبي، الامارات العربية المنحدة.

محمد ,س .س .(2006) .قضايا تمويل التراث العمراني :الاطار الاستراتيجي لتعزيز حفظ وحماية التراث .*ملتقى التراث العمراني الوطني الثالث* .(p. 03) ,المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

محمد ,ف .م .(2006) .تنظيم ادوار المشاركين في مشروعات الحفاظ على المباني والمناطق الاثرية .*المؤتمر الدولي للمدن التراثية الاقصر* .(p. 03) ,القاهرة جمهورية مصر العربية.

محمود، ,ج .(2002) .*العمران في مصر :بين الخصائص التاريخية وبروز الشعبي في اواخر القرن العشرين* .Vol)السادس) .(ك .ا .القاهرة (.Éd ,القاهرة ,جمهورية مصر العربية :مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية.

مديرية التعمير والبناء لولاية ورقلة .(2013) .*مراجعة المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير* . الرويسات، ورقلة.

نظمي ,ا .(2018) .التراث الثقافي في الوطن العربي الى أين؟ .*الملتقى العربي للتراث الثقافي* , .(pp. 34-36)الشارقة، الامارات العربية المتحدة.

المراجع الاجنبية

(comité d'évaluation et de suivi de l'agence national du rénovation urbain. (2006). *de nouvelle perspective pour la renovation urbaine.* France: ANRU.

Berard, J., & Feilden, J. (1996). *guide de la gestion des sites patrimoine culturel mondial.* Italy: ICCROM UNISCO ICOMOS. doi:92-9077-135-6

Fatima, M. (2015). *Le renouvellement du patrimoine batis vetuste: le cas de centre ville d'Oran doctorat science en architecture option patrimoine.* Oran: Université Science et Technologie d'Oran.

Florina, S. (1996). Conservation and rehabilitation of uran heritage in developing countries. *Brinted in great britan, 20*, 465. doi:197-3975(96)00012-4

Institut Regional de la Ville. (2003). *les nouveaux financement du renovation urbain.* France: IRV.